جامعة قاصدي مرباح – ورقلة –

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

مذكرة تخرج لنيل شهادة

ماستر أكاديمي

ميدان : علوم إجتماعية

فرع : فلسفة

تخصص : تاريخ الفلسفة

إعداد الطالبة : سعيدة تونسي

الموضوع :

إشكالية الجنون عند

أمام لجنة المناقشة المكونة من:

الدكتور	/	بن قويدر عاشور	رئيسا
الدكتور	/	كراش إبراهيم	مشرفا و مقررا
الدكتور	/	زيغمي أحمد	ممتحنا

الموسم الجامعي : 2018/2017

بسم الله الرحمان

الرحيم

التشكرات

قال تعالي (و قل ربي زدني علما)

الحمد لله عدد خلقه و زينة عرشه و مداد كلماته، الحمد لله الذي وفقني و أعانني على إنهاء هذا البحث المتواضع

أستاذك أوفى له عهدا واقطف من روضته وردا

أتوجه بخالص الشكر و الامتنان إلى الأستاذ المشـرف :

« إبراهيم كراش » الذي على يده تعلمنا فعل التفلسف، و ما إشرافه علينا إلا نقطة من بحر عطاء علمي ، سواء منهجيا أو معرفيا أو أخلاقيا

فله مني كل التقدير و الشكر و الامتنان

إلى جميع الأساتذة الذين رافقونا طوال هذه المدة من الدراسة كل باسمه لعموري شهيدة ، رياض طاهير، أحمد زيغمي ، بن قويدر عاشور، بن غزالة محمد الصديق ، برابح عمر ، و إلى الأستاذ الدكتور سعد الله علي

كما أتقدم بالشكر الخالص إلى كل من وقف بجانبي في إعداد هذه المذكرة سواء كان بدعائه أو بتقديم معلومة و أخص بالشكر صديقتي

(ميساء) سدد الله خطاها و أنار دربها ووفقها في دراستها فلها مني جزيل الشكر على كل ما قدمته لي

سعيدة

الإهـــداء

الحمد لله الذي هداني ووفقني إلى إنجاز هذا العمل و الصلاة و السلام على سيدنا محمد حبيبنا طبيب العقول و دوائها نور الأبصار وضيائها أما بعد أهدي ثمرة جهدي إلى :

أجمل شيء في الوجود إلى التي تعبت لتعبي و سهرت لسهري ، و فرحت لفرحي إلى نور دنيتي إلى التي انتظرت هذه اللحظة إليكي أمي الغالية حفظها الله و أطال في عمرها.

إلى من عمل بكد في سبيلي و علمني معنى الكفاح و أوصلني إلى ما أنا عليه : أبـي الغالي شفاه الله و أطال في عمره

إلى إخوتي و أخواتي : سليمة – محمد – صباح

إلى كل صديقات الدرب دون استثناء

إلى كل من ساهم في تنشئنا العلمية من معلمين و أساتذة

إلى من ساعتهم ذاكرتنا و لم تسعهم مذكرتنا

إلى كل من شجعني و لو بكلمة طيبة

إلى كل من سقط من قلمي سهوا

إليكم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع

سعيدة

تعد ظاهرة الجنون من بين الظواهر الغامضة التي لم يتس ن للإنسان معرفة أسبابها ،فنجد أن معناها الطبي أما في الفلسفة يصطلح عليها بمصطلح " اللاعقل " باعتبار أن الجنون هو فقدان العقل، و هذا ما جعل منها مشكلة فلسفية، فلقد شغلت هذه الظاهرة بال الكثير من الفلاسفة و المفكرين، و من بين هؤلاء الفلاسفة الذي تناول هذه الظاهرة الفيلسوف ميشيل فوكو، و كان هو موضوع الدراسة في هذا البحث.

يعتبر ميشيل فوكو (1926-1984) أحد أعمدة الفكر ما بعد الحداثي في فرنسا كما أنه يعتبر أحد صنّاع الفكر العالمي المعاصر، فقد عمل في أن يفرض نفسه في الحياة الأكاديميّة و الثقافيّة العامّة في فرنسا فهو من بين الفلاسفة الأكثر تأثيرا و الأقوى حضورا ،فقد أحدث تغيّيرا جذريا في المشهد الفكري الفلسفي، حيث خلف عدّة مؤلفات من أهمها كتابه المتمحوّر حول مشكلة الجنون، حيث أنه تناول سيرة الجنون و صورة المجنون بين العصور و تقبلها للجنون، منتهجا في دراسته هذه المنهج الأركيولوجي الذي من خلاله يحاول إزالة ذلك الغموض الذي عرفته ظاهرة الجنون.

و انطلاقا من هذا فإن إشكالية البحث تتمثل في مايلي : **كيف إستطاع فوكو مقاربة مشكلة الجنون أركيولوجيا؟**

و أمام هذه الإشكالية تندرج تحتها مشكلات فرعية :

1 ما طبيعة المقارنة الفوكويّة لظاهرة الجنون ؟

2 كيف كان ينظر للجنون في مختلف المراحل التاريخية ؟

3 هل إستطاعت المقاربة الأركيولوجية لفوكو توضيح وتحليل مشكلة الجنون بشكل موضوعي؟

فهذه بعض الأسئلة التي سنحاول الإجابة عنها من خلال هذا البحث و التي دفعت إليه مجموعة من المصوّغات ذاتية و موضوعية .

أولا:الذاتيـــة :

- الرغبة في اكتشاف هذه الظاهرة و مختلف الكيفيات و الطرق التي تمت بها معالجة ظاهرة الجنون.

ثانيا:الموضوعيـة :

- معالجة ظاهرة الجنون بالنسبة لفوكو و ركّزت فقط على الظاهرة في المحيط السيسيوثقافي الغربي، في حين أن المحيط السيسيوثقافي العربي لم يتناول هذه الظاهرة ، الشئ الذي دفعني إلى محاولة اكتشاف هذه الظاهرة و طرحها في سياقها الثقافي و الاجتماعي .
- و قلة الدراسات حول ظاهرة الجنون.

و تهدف دراسة هذا الموضوع إلى التّعريف بالفيلسوف و معرفة فلسفته، البحث في مشكلة الجنون و معرفة الطرق التي حاولت حل هذه المشكلة.

و لقد اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على المنهج التحليلي و من خلاله قمنا بتحليل الأفكار الأساسيّة لمصادر فوكو، إضافة لإلى المنهج التّاريخي لنتبع المراحل التاريخية التي مرت بها ظاهرة الجنون.

و للإجابة على تلك التساؤلات السابقة الذكر عمدنا إلى تقسيم موضوع البحث إلى مقدمة وثلاث فصول و خاتمة، ففي المقدمة تحدثنا عن أهميّة الموضوع ثم طرحنا الإشكال الرئيسي و ما تفرع عنه من تساؤلات فرعية و بدأنا الفصل الأول الذي حمل عنوان آليات فوكو في قراءته لتاريخ الجنون و الذي تضمن ثلاث مباحث المبحث الأول تناول المنهج الأركيولوجي وفيه في مفهوم الأركيولوجيا،أما المبحث الثاني فيتمثل في مدى تأثر فوكو بنيتشه و المعنون ب بين الجينيالوجيا و الأركيولوجيا ، و المبحث الثالث يتناول التصوّر الأركيولوجي لمفهوم الجنون.

أما الفصل الثاني الذي هو معنوّن تحت عنوان مضمون مراحل تاريخ الجنون عند فوكو والذي تناولنا فيه ثلاث مباحث ، أولها كان الجنون في العصر الوسيط ، ثم تلاه الجنون خلال عصر النهضة، و أخيرا الجنون في العصر الكلاسيكي .

أما الفصل الثالث فهو عبارة عن تكملة للمبحث الثالث من الفصل الثاني تناولنا فيه الجنون بين الإعتقال و التحرير و يضم مبحثين اثنين .

المبحث الأول : اعتقال المجانين و يحتوي على عنصرين :

أ -الإعتقال الكبير .

ب -الإعتقال الثاني

و المبحث الثاني معنوّن بـ : تحرير الجنون.

و أخيرا قمنا بوضع استنتاجات حول هذا الموضوع

و للإلمام بعناصر الموضوع و أفكاره اعتمدنا على جملة من المصادر و المراجع الضروريّة و يجدر بنا الإشارة إلى أن هناك مجموعة من الصعوبات قد واجهتنا في معالجة هذا الموضوع، تلك الصعوبات التي فرضتها طبيعة الموضوع، كون صعوبة فلسفة فوكو و ذلك المنهج الأركيولوجي الذي اتبعه في دراسته ، فليس من السهل تتبع أركيوليوجية فوكو ،فالدارس لهذه الأركيولوجيا عليه بتوفير أدوات عدّة للممارسة

المبحث الأول : المنهج الأركيولوجي

في مفهوم الأركيولوجيا:

الأركيولوجيا دراسة علمية للحضارات ما قبل التاريخ أو الحضارات القديمة.

وهي بحث نسقي حول بدايات التحديدات الأولى للأفكار،المؤسسات...إلخ

وبمعنى أكثر دقة أركيولوجيا المعرفة هو تعبير لم يشيل فوكو استلهمه من التفكيك الهايدغري للجينيالوجيا النتشوية وللمناهج البنيوية.

وعلى هذا النحو الأركيولوجيا هي تحليل لما قبل التاريخ فيما يتعلق بإنتاج المعرفة المعطاة سابقا

وهي بهذا المعنى ليست بنية تحتية بالمفهوم الماركسي وإنما تبقى على مستوى قواعد منطوق الخطابات[1]

إذن نفهم من خلال التعريف السابق الذكر أن مصطلح الأركيولوجيا هو ذلك العلم الذي يهتم بدراسة مختلف الحضارات التي أقامها الإنسان في الماضي،وهذا بإستخدام أدوات الحفر والتنقيب عن الأثار التي تركتها تلك الحضارات.

أما فوكو فيستعمل هذا المصطلح لدلالة على المنهج الذي وضعه من أجل تحليل وفهم البنية المعرفية الغربية حيث يعلن في كتاب أركيولوجيا المعرفة أنه أطلق على منهجه

[1] Louis-marie morfaux, nouveau vocabulaire de la philosophie et des sciences humaines, armond colin , paris, 1980, 1999.p 40.

"**وبكيفية ربما رسميّة إسم الحفريات**" [1] وقد إستخدم فوكو هذا المنهج في وصف مختلف الممارسات الخطابية بكيفية مختلفة تماما عن المناهج التاريخية

فكيف إستخدم فوكو الأركيولوجيا كألية لفهم تاريخ الجنون؟

يعتبر المنهج أساس البحث، فيه تنضبط نتائج ذلك البحث ، حيث أن هذه الأخيرة (النتائج)تتميز بالدقة و اليقين، و هذا راجع لما عرفته العلوم من تطور و إبداع في المناهج.

و في ظل هذا التقدم الذي عرفته تلك العلوم، شهدت الفلسفة هي الأخرى تعاسة في الحظ من غيرها، فأصبحت دون منهج و شهدت تراجعا حادا في حقبة تعدد مناهج البحث العلمي ،كون طبيعة التأمل الفلسفي قائما على التفسير لا على التغيير، و هذا ما يجعلنا نعيد النظر في المهمة الفلسفية، فمن بين الفلاسفة الذين اهتموا بفكرة المنهج نجد الفيلسوف ديكارت وكتابه المتمحور حول المنهج (مقالة في الطريقة) حيث عرف المنهج على أنه الطريقة التي تعصم العقل من الشطط و تمنعه من الزلل و تنقله إلى عالم البداهة و الوصول إلى الدقة .

و نلاحظ أن استقراء واقع المناهج الفلسفية يؤكد أن كثرة المناهج و تعددها و اختلافها يكشف عن الأزمة المنهجية الفلسفية و ليس عن ثراء الإبداع في المناهج الفلسفية، فنذكر على سبيل المثال المنهج الأركيولوجي فظهر هذا الأخير مع الفيلسوف الفرنسي : ميشيل فوكو Michel Foucault (1926 م – 1984 م)فهذه اللحظة الفوكية تعد من أهم

[1] ميشل فوكو،حفريات المعرفة ،تر:سالم يفوت،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،ط3،2005،ص125

المناهج الفلسفية التي شهدتها الحضارة الغربية المعاصرة، و جاءت هذه الأركيولوجيا نتيجة لقفزة فوكو على البنيوية و انتقاده لها.

فيعتبر المشروع الفوكوي و المتمثل في هذه الأركيولوجيا ما هو إلا أداة للحفر و التنقيب وإعادة البحث في العمق الداخلي للمعرفة ، فنجد أن فوكو فكرته من خلال اعتماده لهذا المنهج تتمحور حول التجاوز و تغيير النهج الفكري في مختلف الفلسفات السابقة و في هذا الصدد يقول " لقد مرت تلك الحقبة الكبرى من الفلسفة المعاصرة ، حقبة سارترومير لوبونتي ،حيث كان على نص فلسفي أو نص نظري ما أن يعطيك في النهاية معنى الحياة والموت ،و معنى الحياة الجنسية و يقول لك هل الله موجود أم لا ؟ ، و ما تكون الحرية، و ما ينفي عمله في الحياة السياسية و كيف تتصرف مع الآخرين " [1] و من ألزم على فوكو، الكشف عن الحقيقة بتعدد مستوياتها

فأين تكمن أهمية الشروع الفوكوي؟ و ما هي أهم القواعد التي اعتمدها في منهجه الأركيولوجي ؟

يصطلح على المنهج الذي وضعه فوكو بالمنهج الأركيولوجي، فنجد أن فوكو قد اعتمد على هذا المنهج تقريبا في جل أعماله، و استعمله لأول مرة في كتابه الشهير :

« histoire de la folie à l’âge classique تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي »

[1] ميشيل فوكو، هم الحقيقة، تر: مصطفى المنشاوي، سلسلة بيت الحكمة، منشورات الاختلاف، ط1، 2006، ص27.

فيعنى بمصطلح الأركيولوجيا الحفر و التنقيب و الكشف في خطابات الحضارة الغربية، فهو وضعه خصيصا لتلك البني المعرفية للحضارة الغربية و من هذا الوصف الأركيولوجيا سيوضح فوكو سبب وضعه لهذا المنهج قائلا : « فقد سبق أن وجدت مناهج كثيرة قادرة على وصف اللغة و تحليلها، بحيث لا يمكن لأي كان أن يزهو بنفسه و يعجب بها مدعيا أنه يضيف منهجا جديدا لها[1] »

فالأركيولوجيا تعني الكثير لدى فوكو و أعطاها أهمية كبيرة في فلسفته فكانت نقطة انطلاقه من وصفه لهذا المنهج هي ضعف تلك المناهج التاريخية السابقة، فنهجه للمنهج الأركيولوجي هو تقديم الجديد للمناهج الأخرى و استعماله لمصطلح الأركيولوجيا « للدلالة على لفظ الوثيقة و لم يقصد اكتشاف بداية ، أو الكشف عن عظام و هي رميم [2] »

فجاءت الأركيولوجيا كوصف و تحليل لتاريخ الخطاب، فتعتبر كنقد لهذا الخطاب و التنقيب في بناه الداخلية.

و نجد أن فوكو استعمل المنهج الأركيولوجي في قراءته لتاريخ الجنون متبعا إياه في تلك المراحل التاريخية التي مر بها العصر الوسيط، عصر النهضة و العصر الكلاسيكي، حيث عمل على تحليل تلك النظم المعرفية التي تشكلت خلال هذه المراحل منتهجا في ذلك التحليل الأركيولوجي، لينقب من خلاله على المضمون الداخلي للخطاب و عليه فالأركيولوجيا هي نقطة التحول التي قام بها فوكو من خلال تجاوزه للبنيوية، اعتبار أنها

[1] ميشيل فوكو، حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2005، ص125.
[2] الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص113.

أزفت لمنهج يعمل على تحليل الخطاب و ممارسته، بحكم أن الخطاب كان محل اهتمام البحث آنذاك ، فتكمن أهمية الأركيولوجيا في « تحديد هذه الخطابات من حيث هي ممارسات ، تحكمها قواعد معينة فهي تنظر للخطاب على أنه وثيقة [1] » فكانت بلورة فوكو لهذا المنهج هدفها الأول هي الخطاب على اعتبار أن هذا الأخير موضوع الوصف في المنهج الأركيولوجي، فعملها هو الفصل بين ما هو خطاب و بين ما هو وثيقة لأن الأركيولوجيا لم ترى الوثيقة على أنها محل بحث الباحث الأركيولوجي ، في حيث أن الخطاب هو هدفه كونه مادة للبحث، و نجد فوكو في دراسته للخطاب ينفي معنى الذاتية وهذا ما ميز الأركيولوجيا عن باقي المناهج المعتمدة، فهي تسعى إلى تحقيق الموضوعية منتقدا في ذلك التحليل الميتافيزيقي.

و منه فالأركيولوجيا كمنهج مقارنة بالمناهج الأخرى متميزة عنهم بتحليلها المنظم للخطاب ،كما أنها جاءت كنقد شتى الخطابات التي على أساسها نهضت الحضارة الغربية فخاصية المنهج الأركيولوجي الفوكوي قائم على دراسة الخطاب ووصفه الذي هو أساس التحليل الأركيولوجي.

[1] ميشيل فوكو، حفريات المعرفة، المصدر السابق، ص128.

المبحث الثاني : بين الجينيالوجيا و الأركيولوجيا :

يعتبر نيتشه من أهم المبدعين في الفكر الإنساني عموما، و الغربي خصوصا لما قدمه للفكر الغربي و تراثه انطلاقا من السقراطية، فهو بذلك مؤسس لأهم منهج و هو المنهج الجينالوجي في دراسته للمنظومة الأخلاقية و هو بذلك يعبر عن روح الفضيلة و القيم العالية ، فقد أثر بذلك على العديد من ذاعة الفكر من فلاسفة و علماء، و نجد من بين هؤلاء الفلاسفة الفيلسوف ميشيل فوكو، ففوكو تأثر كل التأثر نيتشه سواء في فلسفته أو في طريقة تفلسفه و خاصة في آليات النقد و الاقتحام، فهو يعبر عن طريقة نيتشه بكل حماسية وجدانية، و هو يعترف به كل الاعتراف، و لم ينف وجوده في فلسفته و أعماله، بل على العكس من ذلك فهو يؤكد هذا الإعتراف، فبهذا يعتبر ما قدمه فوكو هو نفس الطريق الذي خطه نيتشه فهو تكملة له ففوكو فكرته إنبنت على فلسفة نيتشه ، ففلسفة فوكو تبدأ حيث تنتهي فلسفة نيتشه ، و هو بذلك بناء جديد لما تهدم في عمل نيتشه ، فهو حامل للوائه هذا ما دعاه أن يقر بتأثره بأعمال نيتشه، و هو يقول عن بساطة منهجه لأنه متخلق و روحاني و في هذا الصدد يقول : « أنا بيساطة نيتشوي أحاول يقد ر الإمكان أن أرى بخصوص عدد من النقاط. بمساعدة نصوص نيتشه – و لكن مع ذالك مع لأطروحات مضادة لنيتشه (و إن كانت مع ذلك نيتشوية) ماذا يمكن أن تعمل في هذا المجال أو ذاك لا أبحث عن أي شئ آخر و لكني أبحث عن هذا بحق » [1] فالطابع النيتشوي حاضر في جل أعماله فهو

[1] السيد ولد آباه، التاريخ و الحقيقة لدى ميشال فوكو، دار المنتخب العربي ، بيروت، ط1، 1994، ص69.

و ما كاد يخلو من تلك النبرة التي أخذها من نيتشه، و يظهر ذلك في طبيعة المواضيع أو المفاهيم المستعملة من طرف فوكو في أبحاثه و أعماله ومن خلال التحليلات الجينيالوجيا للقضايا و العديد من المشكلات في نفس السياق ، حيث ظهرت مشكلة في تحليل القضايا بطريقة جينيالوجية و هي علاقة فوكو بنيتشه و هذا راجع إلى تأثير نيتشه على فوكو ، حيث حلل جميع قضاياه على نهجه و تعامل معها بنفس الأسلوب الذي يستخدمه بنيتشه ، لنقول بأن فوكو يتحرك بروح نيتشه، و هو يطبق بذلك التحاليل بأن الفكر النيتشوي أجد بأن يكون لا دراسة و تمحيص، فالمهمة الجينالوجية التي بناها بنيتشه سيتممها فوكو لكن بطريقة وآليات أخرى و مزج فيها فوكو بين الجينيالوجيا و الأركيولوجيا.

و يعود ذلك العجز الأركيولوجي لحل بعض المشكلات و لعل أهمها المشكلات العملية التي لا يمكن دراستها دراسة أركيوليوجية، مما يتحتم الأمر في ذلك إلى الرجوع إلى الجينيالوجيا التي تنفي العلم الذي يرتكز على الأخلاق و المبادئ و هو من أهم المناهج التي ظهرت على يد نيتشه و بذلك يكون المزج بين المنهجية لحل القضايا و تتبع الآراء.

فالأركيولوجيا مهما وصلت إلا أنها تعود للمنهج الجينيالوجيا كمبدأ أول و كمرجع أساسي وخاصة في الدراسات العلمية التي من خلالها يمكن تجاوز العراقيل و الثغرات كما أن الجينيالوجيا قد استخدمت في العديد من الوظائف كونها تحمل أسس و تتطابق مع أرض الواقع، فنجدها في السلطة مستخدمة لأنها منهج يستحق أن يكون جديرا بالممارسة الفعلية وهي بذلك تحدد مكانتها كمبدأ أساسي في البحث في الأصول و البدايات و الأخلاق و ليس

في السلطة فحسب بل في مختلف المجالات الأخرى و في هذا القول فوكو « الجينيالوجيات بدقة أكبر هي استراتيجيات و تكتيكات، هي مناهضة للعلوم ...هي أولا و قبل كل شئ مناهضة للآثار الممركزة لسلطة مرتبطة بمؤسسة ما و لطريقة عمل خطاب علمي أو لطريقة توظيف خطاب علمي منظم داخل مجتمع كمجتمعنا »[1] و هذا ما يميز به الجينيالوجيا ،لأنها تبحث عن المنابع و البدايات التي عرفها نيتشه، حيث غدت الفلسفة عند فوكو بالبحث هي الأخرى عن الأصول و المنابع ليتخذ نفس الطريق الذي أسسه نيتشه و الذي أساسه المنظومة الأخلاقية فنجد أن من بين أهدافها الكشف عن الأقنعة التي تخفي الحقيقة ، و كذا الفصل بين معياري الخير و الشر.

و بذلك أنه بوجود دعامتين أساسيتين الخير و الشر، الفقر و الغنى فهاته المضادات هي استمرار أم هي تعارض مستمر ؟ و ما هو الأصل في ذلك التعارض ؟

ليؤكد بذلك أن التعارض ليس هو الأصل في الحقيقة بل هو عبارة عن ميتافيزيقا فالأمر يختفي وراء شئ حقيقي.

فالبحث عن الأصول ليس تمجيدا بل الكشف عن الحقيقة و عن ما هو خفي و البحث عن الواقع الذي ينجز ورائه ميتافيزيقا أصولية لا تجدر بها عن الكشف عن ما هو حقيقي وعيني.

[1] ميشيل فوكو، يجب الدفاع عن المجتمع ، دروس ألقيت في الكوليج دي فرانس لسنة 1986، تر: الزواوي بغورة، دار الطليعة ، بيروت، ط1 ، 2003، ص37.

فالجينيالوجيا تبحث في أصل الأخلاق يتميز بقدراته على السيطرة على ما هو مبهم فكانت هنا انطلاقة نيتشه، و كان لهذا الأخير كتاب يحمل في طياته أصول ذلك المنهج الجينيالوجي و المعنون تحت « جينالوجيا الأخلاق » و كان تأثير فوكو بنيتشه من وراء هذه الانطلاقة النيتشوية و بها ففوكو جاء ليتمم ذلك المنهج يمزجه بآليات أخرى حتى تكتمل الفكرة في ذهنه ففوكو يمكن وصفه على أنه وجه ثان لنيتشه فهو متأثر كل التأثر بفكره ومنهجه، و كذا أخلاقه و هذا إن دل فإنه يدل على الحقيقة التي وصل إليها فوكو بأبحاثه واعترافه بنيتشه ، فما هو إلا استنباط خلفي مما تعلمه من تعاليمه، فأسس منهجه انطلاقا من مبادئ نيتشه الذي يؤكد على استمرار لا يكون إلا في الكشف عن الحقائق و الكشف عن ما هو خفي و أن الأصلية لا تعني الحقيقة بعينها بل البحث و التنقيب عنها يستدعي مناهج و هو ما قدمه ببراعة الفيلسوف نيتشه ليؤكد أن الحياة البشرية تركيبة ثنائية ،فالحقيقة بالرغم من غموضها إلا أنها من قدراتها أن تعرض نفسها بنفسها و كذلك فوكو الذي أراد من خلال هذه القراءة لنيتشه و تطويرها الكشف و الحفر في تلك الحقيقة فقد تكون حقيقة أخرى وراء تلك الحقيقة « لأن وراء كل حقيقة مهما تكن راهنة و مقيسة كثرة كاثرة من الأخطاء ،فلا يصدق أحد بأن الحقيقة تبقى حقيقة و نحن نرفع عنها الحجاب» [1]

ففوكو صوت أحباء نيتشه و من أتباعه ، ويبدو مشروعه الفلسفي و التاريخي هو تحقيق لرغبة نيتشه و السير في مساره، فيمكننا القول بأن مشروعه المعرفي قريبا جدا من نيتشه

[1] ميشيل فوكو، جينيالوجيا المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2005، ص67.

وهذا راجع لإشكالياته المتمحورة حول إرادة المعرفة أكثر من المعرفة في حد ذاتها و من كل هذا نستنتج بأن فوكو كان وفيا للحظ الذي رسمه نيتشه في كل ما تحمله من موضوعات وكذا المنهج فلم ينف هذا الارتباط الوثيق بهذه الفلسفة فأركيولوجية فوكو كانت نتيجة لذلك العمل النيتشوي.

فنيتشه يعد كمرجع لفوكو.

المبحث الثالث : التصور الأركيولوجي لمفهوم الجنون

لقد ساد مفهوم الجنون في السابق باعتبار أن المجنون شخصا ينبغي عزله و تهميشه داخل المجتمع، لما يمثله من خلل و خلخلة للمنطق الذي يسير عليه المجتمع هكذا اعتبر المجنون مفردا داخل المجتمع، و قد فقد كل شئ عقله و منطقه و دخل سلوكه مجالات العبث و اللامعنى، و عليه فإن المجنون قد أسيء فهمه طوال هذا التاريخ الذي كانت تسوده هيمنة اللاهوت و التي كانت تقسم العالم إلى قسمين : قسم كامل الخلق، ممن حباه الله العقل كي يعرف به الخالق، و قسم خارج عن طاعة الله، و بينهما يكمن هامش يسكنه كل من يفقد القدرة على التمييز، إذ ظهر تاريخ الثقافة الغربية كما لو كان قصة تحكي ما أنجزه العقل من فتوحات متلاحقة و ما استنتج من تراجع و كف لما أسماه هذا التاريخ بالجنون ،وهذا حسب ما أكده فوكو، فلقد أدرك بداية مساره الفكري أن الجنون من القضايا التي تطرح نفسها بشدة على الفكر الغربي، إذ وجد نفسه أمام قضية معقدة جدا، و هذا ما دفع به إلى البحث في تاريخ الجنون في الفكر الغربي و هذا البحث و ما توصل إليه من نتائج سيكون له بالغ الأثر في تطوير منهجه الأركيولوجي.

ففي كتابه « **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي** » نجد أن فوكو قد أرّخ للمراحل التي مر بها المجتمع الأوروبي في علاقته بالخطاب عن الجنون ، و كيفية تغيير النظرة اتجاه المجنون، حيث كانوا ينظرون للمجنون تلك النظرة التي ينظر بها إلى مرضى الجذام، فلقد

أصبحت ظاهرة الجنون ظاهرة أخطر من مرضى الجذام ، « **و هي ظاهرة ظلت في حالة كمون لمدة قرنين تقريبا ة تشكل حالة رعب كذالك الذي أحدثه الجذام**[1]»

فتلك المراحل التي أرّخها فوكو قد ميز بها، إذ أنها تتقاسم نقطة مشتركة و هي أن التمييز بين الجنون و العقل، و هذا التمييز شكل جليا من تجليات الخطاب السائد داخل مراكز القوة الاجتماعية في مختلف هذه العصور، فلقد ساهم المنهج الأركيولوجي في الكشف عن آليات الفهم و الطريقة التي كان يعامل بها المجنون « فنقل فوكو المنهج الحفري إلى المؤسسات العلاجية، و قام باستثماره ليكشف عن آليات القهر الكامنة تحت مئزر الطبيب، مبينا في ذالك طريقة معاملته للمرضى، تلك المعاملة التي تطرح إشكالية تتعلق بالوضع الإنساني لهذه الفئة» [2]

و مع الانتقال بين تلك المراحل نجد أن النظرة التي كان ينظر بها للجنون و قد تغيرت وهذا راجع لذلك الخطاب و قوته اللغوية، حيث يكون للجنون مكانة في ذلك الخطاب و تعدداته ،لأن نظرتهم تلك كانت حقيرة للمجنون كون صفة الجنون كانت في ارتباط بجملة من الممارسات الاجتماعية و السياسية و كذا العلمية، باعتبار أن الجنون شر و يجب التخلص منه.

[1] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص28.
[2] جيجيبكة إبراهيمي ، حفريات الإكراه في فلسفة ميشال فوكو، منشورات الإختلاف، ط1 ، 2011، ص17.

و التغيير في الخطاب و القوة البلاغية التي كانت سيطرت على مستوى ذلك الخطاب هي :

«ما يصفها فوكو بقوة القانون الذي سيطرته على ظاهرة الجنون بآليات سلطوية متعددة [1] **»**

فنجد أن اللغة ساهمت بشكل كبير في تحليل معنى الجنون و فك شفرة تلك النظرة التي كانت سائدة عبر عصوره التي مر بها، إذ أن هذا التحليل اعتمد من خلاله على المنهج الأركيولوجي و كيفية وصف هذا الأخير لتلك الخطابات، فعمل فوكو على تفكيك أساليب الخطاب المتعلقة بظاهرة الجنون فكان يريد من كل هذا هو توضيح صورة الجنون بتغيير تلك الصورة التي كان عليها « **يقوم فوكو بالمزاوجة بين الطريقة التقريرية الوصفية و بين الطريقة النقدية الفلسفية** [2]» باعتبار أن الخطاب موضوعا للأركيولوجيا و هي قائمة على دراسة ذلك الموضوع أي أن الخطاب هو المادة الأساسية لها و نجد أن الهدف الأساسي من وراء هذه الأركيولوجيا هو في« **تحديد هذه الخطابات من حيث هي ممارسات تحكمها قواعد معينة ، فهي تنظر للخطاب على أنه وثيقة** » [3] فمن خلال هذه الأركيولوجيا نجد أن فوكو أراد أن يحرر الجنون من جهل ووحشية تلك العصور ، حيث كان ينظر لل مجنون على أنه مريض عقلي و بحاجة إلى علاج طبي، فانتهاجه المنهج الأركيولوجي جاء كحضر عقلي في جذور التشكيلات، الخطابية التي حكمت الكلام عن الجنون حيث « **أن الحضريات إذن هي ممارسة تاريخية تكشف عن أنماط تكون الخطابات و تعاقبها و تشابكها، و هوة**

[1] طالبي عبد الحق، المنهج الأركيولوجي في فلسفة ميشيل فوكو، جامعة منتوري، قسنطينة ، 2011/2010، ص61.
[2] عمر مهيبل، من النسق إلى الذات، المرجع السابق، ص48.
[3] ميشيل فوكو، حفريات المعرفة، المصدر السابق، ص128.

الاختلاف التي تفصل بينها » [1] فإشكالية فوكو كانت حول الجنون نفسه أي البحث عن الدلالات الخطابية للجنون بالنظر إلى تلك اللغة و من هنا كان لزاما على فوكو أن يستنطق النصوص و يكشف ما وراء السطور بغية تحصيل الفهم الموضوعي لكل ما له علاقة بالإنسان، ففلسفته هي إيذانا لميلاد نزعة أركيولوجية تؤدي إلى قطيعة ايستمولوجية مع ما يمكن أن نسميه علم التاريخ، فكل خطاب فلسفي هو بالأحرى خطاب تاريخي يروي تاريخا كتبه المنتصر أو الغالب بالمفهوم الخلدوني، فعلى هذا النحو يسعى فوكو من خلال ما هو مسكوت عنه في الخطاب التاريخي على اعتبار أن ما كتبه من خطابات تاريخية لا يعبر دوما عن الحقيقة كما وقعت بالفعل ، و هذا يعني غياب جملة الخصائص التي تكشف عن الواقع الإنساني في سيرورته، « **فوراء كل تاريخ يختفي تاريخ آخر و كل خطاب متجانس متوازن يتكلم لغة تاريخية معقولة، إنما ينبغي الحفر في أساسيتها غير المنطوقة، لأن التاريخ المكتوب ليس دليل نفسه دائما يقدر ما دليل غياب للتاريخ الغير مكتوب** » [2]

ففوكو من خلال هذا الاستنطاق للنصوص محاولته تهدف إلى الكشف عن تلك المظاهر والممارسات التي مورست على المجنون من إكراه و نفي و حجز ...آلخ ، حيث أنه بحث عن جذور و شروط إمكانية تشكل الجنون كحالة مرضية، فقد وجد أن تاريخ الحضارة الغربية عرف فترة توقف فيها العقل عن أن يكون منظومة أخلاقية ليصير طبيعة، و من ثم لم يعد التقابل ما بين العقل و الاختلال العقلي، فمهمة فوكو من خلال كتابه تاريخ الجنون

[1] السيد ولد آياه، الحقيقة و التاريخ لدى ميشيل فوكو، المرجع السابق، ص101.
[2] عمر مهيبل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005، ص29.

في العصر الكلاسيكي تكمن في أنه يجهد لإبراز ذلك التقسيم بين ما هو العقل و الاختلال العقلي ، و قد استعار أدوات بحثه من الأدب و الفن و الفلسفة فيظهر للعيان أن فوكو بمنحه الأركيولوجي عمل على تجاوز الطابع النفسي للفكر االغربي باعتبار أن الأركيولوجيا عملت على التنقيب و الحفر في المسالك الفكرية للحضارة الغربية، فحفره و تنقيبه هذا أدى إلى إكتشاف أن هذه الحضارة كانت مبنية على مظاهر التهميش و التعنيف و كل مظاهر التعسف و الإكراه، في حين أنها موهت للعيان على أنها عكس ذلك.

فاللغة عملت بشكل كبير على تحليل المعنى لمفهوم الجنون و فك شفرة نظرته خلال المراحل التي أرخها فوكو للجنون، و في هذا التحليل عمل على التحليل الأرسيولوجي من خلاله قام بتوضيح صورة المجنون بغير تلك الصورة التي كان عليها أي أن فوكو أراد أن يجعل من المجنون شخص له الحق في ممارسة حريته و أن يتحرر من تلك المظاهر التي طبقت عليه من وحشية في تلك العصور باعتبار هذه الأخيرة كانت لها نظرة على أن المجنون مريض عقلي و إجباري أن يعالج، فجاء هذا المنهج كحفر في جذور التشكلات الخطابية من خلال بحثه عن أصول هذه الظاهرة (الجنون) و من هنا و انطلاقا من نظرة فوكو للجنون و التعريف به ، أصبح الجنون محل اهتمام فلاسفة و أدبي تلك العصور من خلال دراسة لغة الجنون وبحكم أن اللغة أخذت « **المكانة الأولى، ذلك أن الجنون وبالتدقيق تجربة الجنون تتجسد في لغة الهذيان**»[1]

[1] الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المرجع السابق، ص34.

ففوكو و منهجه الأركيولوجي أعطى لمصطلح الجنون مفهوما آخر و نظرة مغايرة لتلك النظرة السلبية التي كانت مصوبة نحوه.

المبحث الأول : الجنون خلال العصر الوسيط

تتجلى مشروعية الطرح لمشكلة الجنون عند فوكو في ضرورة التنقيب و الكشف عن الكيفية و الطريقة التي كان يتعامل بها مع المجنون و من ثمة الصورة النمطية لظاهرة الجنون في المخيال الغربي ، إذ كشف فوكو على حالة التهميش التي كان يعاني منها المجنون في المجتمع، إذ أثبت التلازم في الحضور بين مصطلحي الجنون و الإكراه، حيث يسعى فوكو إلى إبراز المعاني و الدلالات التي لازمت مشكلة الجنون عبر مختلف المراحل التاريخية للفكر الغربي من العصر الوسيط إلى العصر الحديث مرورا بعصري النهضة و الكلاسيكي ، واتبع في دراسته هذه ذلك المنهج الحفري الذي من خلاله سينقب عن السيرورة التاريخية للفكر الغربي ، حيث أخذ نماذج استعمل فيها هذا المنهج على سبيل المثال أركيوليوجية النظرة الطيبة، كما طبقت بشكل بارز في مقارنته لتاريخ الجنون بغية تحصيل الفهم الموضوعي لكل ما له علاقة بالإنسان « **و بذلك يكون فوكو قد أراد أن يسمع إلى صوت المجنون و يتأمل لغته التي لم تتمكن سماعة الطبيب من سماعه**[1]»

لأن المجنون كان ينظر له نظرة احتقار و كانوا يصفونه بالملعون على أنه كانت غير إنساني، و لا يمكن إعطائه صفة الإنسانية باعتقادهم أن صفة الجنون هي عقاب من الله.

إذ سجل فوكو ميزة أساسية في العصر الوسيط و هي تقديس الجنون أي أن هذا الأخير يعد دلالة لتلك القدسية.

[1] جيجيكة إبراهيمي، حفريات الإكراه في فلسفة ميشيل فوكو ، المرجع السابق، ص 17.

فعمل فوكو في هذا السياق أن بين أوبيرز حقيقة الجنون من وجهة نظره فهو يحاول أن يكشف ذلك الغموض الذي كان عليه الجنون ، حيث كانت تتنبأ أعظم الخوارق باعتبار أن الجنون ظاهرة غير معروفة اجتماعيا، حيث أن الجنون خلال العصر الوسيط « **كان يثير السخرية و الاستهزاء و المخاوف الخرافية و الروح الشيطانية**»[1]

فكان الجنون بمثابة قوة تدفع بالذي هو حامل للجنون أي الإنسان هذه القوة الغارقة لا هي من عند الله و لا هي قوة شيطانية بل قوة جنونية عظيمة، لذا أكد فوكو أن الجنون في هذا العصر أصبح بمثابة شبح لا يمكن أن يرتقي إلى الإنسانية على اعتبار أن الإنسان شخص عاقل و المجنون مختل عقلي فلا يمكن أن يصل درجة الإنسان.

و بهذا لا يمكن التعامل و التواصل معه في وسط المجتمع ، فيرى بأن الاتصال و الحديث معه أشبه بالخيال ، فهو يبقى دائما معزولا عن العالم الخارجي، و بينه و بين الناس مسافات، فربما الحيوان أحسن معاملة منه، حيث أن ظاهرة الجنون مهجورة اجتماعيا، فالمجنون خلال هذه الفترة كان يضحك منه و في حالة استهانة و تحقير، فبلغ درجات كبيرة من الخوف الزائد و المعتقدات السلبية على أنه نوع من السحر و الشعوذة و أنه مرض مرضا بإمكانه أن يسكن كل جسد إنسان، فالإنسان الأوربي خلال هذا العصر كان جاهلا بمصطلح الجنون و لا يحمل ادنى فكرة عنه ، إذ أنه في حيرة من أمره حول هذه الظاهرة ،فأشكله شئ من الرعب كذاك الرعب الذي أحدثه مرض الجذام « **فكان المريض بالجذام قد**

[1] هاشم صالح، ميشيل فوكو، فيلسوف القاعة الثامنة، مجلة الكرمل، العدد 13، 1914م ، ص19.

أقصي من الحياة و من العيش وسط جماعة الكنيسة لأن وجوده يكشف مع ذلك عن صورة الله، لأن وجود الداء و اختفائه كليهما يكشفان عن غضبه و رحمته » [1] حيث أن المصاب بهذا الداء كان يعاني من العزلة ، و قد نفي من المجتمع و أصبح مهمشا حتى أنه أصبح من المستحيل العيش مع رجال الدين و الكنيسة على اعتبار أن رجال الكنيسة يرفضون رفضا تاما الاختلاط مع أي نوع من أنواع الأمراض و خاصة مع هذا المرض لأنه مرض اللعنة فجاء دليل على غضب الله.

فكانت المناطق التي حل بها الجذام في خوف دائم حيث أن هذا المرض و كأنه وجه من وجوه الشر مما جعلهم في ممارستهم لمظاهر الإقصاء و العزل فبنيت لهم مستشفيات خاصة بهم « **فقد وصل عددها سنة 1266 أي الفترة التي قام فيها لويس الثامن قوانين خاصة بالمستشفيات الجذامية إلى 2000** » [2] فالمصابون بالجذام كلهم كانوا نزلاء هاته المستشفيات مما أدى بفرحة السكان باختفاء هذا المرض.

كذلك هو الحال بالنسبة للأنجليترا ، فشيدت هي الأخرى مستشفيات خاصة بالمرض بلغ عددها حوالي 220 مستشفى و مع اختفاء هذا الوباء، فكانت كل أملاك المستشفيات توزع على الفقراء و ستشهد ألمانيا الحال نفسه و ذلك باختفاء الداء و توزيع ممتلكات المستشفى إلا أن مع تواري هذا المرض و اختفائه جاء مشكوك فيه، و هذا راجع لتلك العلاجات الطبية

[1] ميشيل فوكو ، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، المصدر السابق،ص 26.
[2] ميشيل فوكو ـ تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، المصدر السابق، ص23.

« و نتيجة أيضا للقطيعة التي حدثت بعد إنهاء الحروب الصليبية مع البؤرة الشرقية للداء » [1]

فكان الهدف الأول لهذه المستشفيات هو محاربة هذا المرض و عزل المريض عن أفراد المجتمع.

فورثت بعض الطقوس اتجاه هؤلاء المرضى من تهميش و عزل و إقصاء، فعملوا على بناء أماكن مخصصة لهم و ذلك لإبعادهم عن المعاقين من المجتمع و لكن مع اختفاء هذا المرض لم تختفي معه تلك الطقوس التي طبقت في حق المرضى « **فستشهد الأماكن ذاتها نفس لعبة الإقصاء قرنين أو ثلاثة بعد ذلك**» [2]

و لكن و في القرن الخامس عشر و مع اختفاء مرض الجذام ظهرت الأمراض التناسلية التي حلت محل الجذام فستشهد نفس المظاهر التي خلفها الجذام ، إلا أن هذه المظاهر لم تطل مع الأمراض التناسلية « **فإن الأمراض التناسلية ستحل موقعها ضمن باقي الأمراض الأخرى** » [3]

فالمرضى بهذه الأمراض عرفوا نفس حالات الإقصاء التي عرفها الجذام ، فوضعوا في المستشفيات« مت شفي دير التدبيس أو شاش ثم بعد ذلك في دير التدبيس نيكولا (...)

[1] المصدر نفسه، ص25.
[2] المصدر نفسه ، ص26.
[3] المصدر نفس، ص27.

وضع هؤلاء المرض في سان جارمان دوبري عبارة عن أكواخ بسيطة كانت تستخدم كمستشفيات للجذام [1] فالأمراض التناسلية عرفت مظاهر الإكراه نفسها التي عرفها الجذام فالمصابين بهذه الأمراض التناسلية أقصوا من الحياة الإضافية فعرفوا السكان الخوف الذي سيقهر به مرض الجذام و خوفهم كان من أن العدوة تنقل لهم فيصبحوا مثلهم و هذا ما جعلهم في حجكم ميت ملعونين من طرف المجتمع ، فكانوا مهملين و لا يمارسون حقوقهم كبقية السكان.

و اختفاء مرض الجذام لم يكن بالأمر الهين فلقد خلف شتى مظاهر الإكراه و العزل والتهميش، فيرى فوكو بأن يجب البحث عن تلك المظاهر و البحث عنها ليس في هذه الواقعة المرضية « **بل يجب البحث عنه في ظاهرة أشد تعقيدا لم يكتشفها الطب إلا بعد جهد جهيد**[2]» إنها ظاهرة الجنون التي لم يتم التعرف عليها بعد حيث كانت في حالة كمون لمدة قرنين ، فستشهد هي الأخرى نفس المظاهر التي شهدها مرض الجذام، الإقصاء والتهميش و العزل، فكانت ظاهرة الجنون خلال هذا العصر ظاهرة منبوذة اجتماعيا على ما شهدته من كره و إقصاء كما أن المعتقد الديني له هو الآخر تفسيره حول هذه الظاهرة حيث اعتبر المجنون أنه انتقام من الرب و هذا ما جعله مكروه من طرف المجتمع.

[1] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العام الكلاسيكي، المصدر السابق ،ص23.
[2] ميشيل فوكو، المصدر نفسه ، ص28.

فكانت ظاهرة الجنون في تهميش تام من طرف المجتمع، حيث كان المجانين يطردون من البيئة الإجتماعية، حيث ينظر للمجنون على أنه ساحر و لا فرق بينهما ، و هذا راجع إلى اعتقاداتهم القائل بأن ظاهرة الجنون مصدرها الروح الشيطانية و أنه في حماية الشيطان ،وقولهم بأن المجنون بجنونه هو الذي اختار أن يكون مجنونا بحكم تشويهه لصورة صوره الله عليها.

المبحث الثاني : الجنون في عصر النهضة

قد شغل الجنون فكر معاصري النهضة و تعامل معه كما تعامل مع العصور الوسطى وحتما سيكون معزولا ، و هنا يستلزم وجوه فقد كان محورا أساسيا لمجموعة من الكتب ليؤكد فوكو أن الجنون مرحلة حقيقية في مضمون العقل ليثبت الجنون نفسه بنفسه و يقتضي في ذلك أن يدافع عن نفسه بأنه عنصر هام و جدير أن يكون عنصرا مهما في بناء السعادة وأن يشل العقل ، و يكون أكثر من ذات العقل « **لقد كان موضوعا للخطابات، إنه يتحدث عن نفسه من خلال نفسه، يدان و يدافع عن نفسه، و يطالب بأن يكون قريبا من السعادة و الحقيقة و العقل ، أن يكون أقرب إلى العقل من العقل ذاته** » [1] و لكن و مع ظهور النزعات الإنسانية و التي تعتبر أن العقل يتقابل مع اللاعقل، فهذه الفئة المبدعة وعلى رأسها إيرازم Erasme[2] الذي يرون بأن الجنون بالرغم م اهو عليه في إطار

[1] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، المصدر السابق ، ص36.
[2] إيرازم كاتب ذو نزعة إنسانية. ولد في روتردام عام 1466 و توفي عام 1536 م من أشهر مؤلفاته، مديح الجنون.

المجتمعات إلا أنه يعبر عن حصيلة معرفية ، و اهتمام كبير و خاصة في المجالات الأدبية لأنها تعتبر الجنون بشاعة خيالية يمثل الإبداع في ذاته لأنه يمتلك معرفة لا يمتلكها العقل ،فبذالك لمعرفة المغايرة ينشأ التميز .

ليقدم فوكو نظرة أخرى لمفهوم الجنون مع إيرازم لأنه كان يفارق الذات فنجد أن إيرازم وأصحاب النزعة الإنسانية عملوا على تأسيس لخطاب الثنائيات ليصبح الجنون « **لا يتربص الإنسان من كل جانب ، إنه متضمن فيه، بل هو الرابط الدقيق الذي يربط الإنسان بنفسه** » [1] هذا ما توصل إليه إيرازم و كل أصحاب النزعة الإنسانية الذين يرون بأن الجنون مربوط بالإنسان و هو المتضمن لذاته و هو متوازي في كل التوازي مع حضور العقل فهما وجهان لعملة واحدة أي الذات الإنسانية.

فلقد كان الجنون حاضرا و بقوة في جل خطاب عصر النهضة أمثال ذلك إيرازم و شكسبير chekspire ...الخ و الذين يرون بأنه لا يمكن تأسيس عقل إلا و هو مأمن من الجنون ولا يمكن وجود جنون دون أن يتحدد بمنطق خاص به و هي العلاقة المتلازمة بينهما، أي أن الجنون و العقل ذا صلة حقيقية يبعضهما و حضور الأول يستوجب الثاني فلكل جنون عقل يحكمه أي له أسس عقلية يتماشى معها كما لكل عقل جنون يحيوه من داخل بأفكاره التافهة و الخيالية. و من التأليف الأدبية نجد أن فوكو توجه إلى اللوحة التي رسمها بوش bosch و التي غرق سفينة الحمقى، حيث أن المجانين وصفوهم بالحمقى، فكانوا يطردون مدنهم

[1] ميشيل فوكو ، المصدر السابق، ص 46.

ويتيهون خارجها و يبحرونهم عبر تلك السفينة حيث أن هذا الأخير تقدر للقلق و الخوف وهذا ما صرح به فوكو كدلالة « **ذلك لأن السفينة كانت ترمز إلى القلق الذي اجتاح فجأة الثقافة الغربية في نهاية القرون الوسطى، فقد أصبح الجنون و المجنون شخصيتان عظيمتان يفعل غموضهما** » [1]

فسفينة الحمقى لها مميزاتها الخاصة ، فكانت ترمز إلى ذلك الطرد الذي عرفه المجنون تساؤلية و تفاعلية كما أنها لها دلالة خاصة و هي تشكيل رابطة بين المجانين و الماء وتتمثل في الرابطة التساؤلية فنجد المجنون هو إفساد للعقل ، و تلك مؤهلات الإنسان أما بالنسبة للماء فيمثل في ذلك الهيجان الذي من خلاله يكون تشويه لصورة الطبيعة أي كلاهما يعملان على الفساد و التخريب ، و في المقابل نجد النزعة التفاؤلية و هي أن المجنون يعبر عن ما بداخله بصدق فتجعله في حالة الشفافية و الماء صورة للنظافة والطهارة.

إضافة إلى هذا فقد اقترن الجنون في هذا العصر بالموت، فربط الجنون بالموت لأنها دقيقتين مشابهتين و يعود ذلك إلى استفحال الموت في هذا العصر ، و قد قام الكتاب والأديبين بتسليط الضوء على الجنون من خلال تعريفهم للجنون لأنه لا يمكن أن يجعلوا منه منبرا للحقيقة أو العقلانية فهو سبيل إلى التمزق و هذا يعني أن الموت يتدرج بمراحل حتى يصبح ميتا « **إن الجنون صور للموت بعينه، ذلك لأنه لا يجتاح إلى معالجة من طرف**

[1] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون، المصدر السابق، ص34.

الطبيب و لكن يحتاج فقط إلى رحمة واحدة مقدسة » [1] فالموت صور لي جزء من تلك الأحلام و التأملات الإنسانية ، فالحروب هي الأخرى كانت مسيطرة عن تلك الفترة لأنها فترة إنتقالية و هي فترة انتهاء من حرب عالمية و تنجز عن ذلك الأمراض الكثيرة كالطاعون و البرص مما زاد من ذلك الوضع الوخيم في انتشار الأمراض هو الهجرات من دول إلى دول .هي فترات حروب لا يمكن أن يتوفر العلاج و المساهمات في الاستقرار الكل يبحث عن مكان آمن و هذا لا يمكن أن يتوفر له كل احتياجاته ممن زاد من شدة خوف الأفراد ويعود ذلك لغموض الظواهر التي تقابله و استصعاب حلها بهذه البساطة و لا محاولة تفكيكها.

فالموت إذن هو الم آل الأول و الوحيد فلم يعد البشر يفكرون إلا فيه لانعدام روح الاستقرار الصحي و الاجتماعي و السياسي و لا سيما النفسي، مما زاد في ذلك الشأن عظمة التفكير فيه، إذا فالموت هو سيد تلك المرحلة التاريخية و الإنسانية و أصبح له مكانة مستحقة في الفكر و الذات فهذا يعبر عن مدى اعتراف الإنسان بأنه في الأخير ليس لديه سبيل إلا الموت، و هكذا يمكن التركيز على مصطلح الجنون لا يمكن استمراره و لا يمكن تحديد مصيره لأنه سينتهي بقدر بدايته و نهايته لن تكون سعيدة بل هي مميتة و تسيطر على الفكر و تحد الأمل و الطموحات في العيش و التعايش البشري ، هذا الأمر الرهيب من التفكير في حقيقة الموت أنجرى عنه حقيقة فناء الإنسان بأكمله و ذلك من خلال أنه ليس

[1] جيجيكة إبراهيمي، حفريات الإكراه في فلسفة ميشيل فوكو، المرجع السابق، ص 26.

قادر عن الاستمرارية في الحياة و أن نهاية العالم تحدد من خلال فنائه و أنه لا يجد عالم آخر من بعد العصر، فقد سيطر الجمود على الفكر و أصبح الموت هو السبيل الوحيد في هذه الحياة الأليمة كما هو الحال في شأن الجنون الذي لا بعرف الإنسان متى يفكر و لا هو أصلا مفكر لأنه أمر يصعب أن يشمل على الواقع بل هو اضطراب داخلي تمتلك الذات الإنسانية و يسيطر عليها « **و من خلال هذا الانتماء إلى الذات، يولد الإنسان جنونه كالسراب**» [1] فكان العامل الأساسي هو الوقوف وقفة العجز و الإنهيار و التراجع، و قد يعود ذلك إلى الفترة التي لم تهتم بالأساليب العقلية و أن الفكر هو فكر ضمني تحكمه آراء سطحية لا يحاول حتى التجاوب و مواجهة عالمه.

فاعتبر عصر النهضة أن الجنون عبارة عن شر يفوق الطاقة الإنسانية لأنه يتجاوز و يعلو عن السيطرة و التحكم ،« **إن الجنون ينفتح عن كونه من طبيعة أخلاقية بشكل خالص وإن الشر ليس عقابا أو نهاية للزمان ، إنه فقط خطأ و عيب** » [2] فهذا يدل على أنه يتمثل في ذاتية الإنسان الداخلية و لا يمكن السيطرة عليه بجل الآليات و الوسائل، فأصبحت تلك هي النظرة و هي مهمة معاصري النهضة في تحليلهم لكل ما يتمثله الجنون و أنه كثي ما يشبه الموت ، لأنه يأتي ثم يتلاشى في زمن معين ، فإذا هو الموت بعينه لا يمكن أن يعالج من طرف طبيب أو غيره ذلك من أنواع المعالجة الأخرى فهذا يدل على أنه أصبح جامدا ووصل إلى مرحلة ستصعب حلها كالموت تماما ليس بالاستطاعة التعامل معه لأنه شئ لم يعد إلا

[1] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون العصر الكلاسيكي ، المصدر السابق، ،ص 46.
[2] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون العصر الكلاسيكي، المصدر السابق ، ص46.

في مرحلة التهميش و النسيان و ينظر إليه نظرة الرحمة و التقديس ، فبذلك لم يعد مكان و حيز في مضامين الإنسان و لا يستطيع أن يناقشه و لا يستمر في ضبطه لأنه يفوق تلك النظرة الإنسانية و كأنه يد عليا تتحكم به و تقودها ، أي أنه متعالي عن الفكر والعقلانية، و كذا لا يمكن أن يصنف في بعد من الحقيقة المتوقعة.

فقد عرف بذلك عصر النهضة ، تفاقما كبيرا في العصر و يعود بذلك للعديد من الأسباب التي سلط الضوء عنها هذا الأخير ، فأصبح الموت يمثل الحدث المتكرر في تلك الفترة مما جعل إنسان عصر النهضة يعاني كثيرا في حالات الخوف و الاضطرابات النفسية التي تجعل دائما يفكر في حامية الموت و لا سيما أنه أمر حقيقي و أكيد، إضافة إلى تلك الأمراض و الأوبئة المنتشرة و الحروب التي تخمد ، « **عرف عصر النهضة انتشارا مذهلا للأوبئة ، مما زاد من عدد الموتى** » [1] فزادت تلك الأمراض و الحروب من الضغط النفسي على حقيقة النهوض و العودة إلى الحياة الأولية التي عاشها الإنسان لأن كل ما يقابله من عراقيل و مخاوف و أمراض التي تهدد كيانه هي أمر لا يمكن الأنفلات عنه و لا يمكن تجاهل تلك الحقائق التي تسيطر على العصر فهي أكيدة و الموت هو الأمر العاجل في تلك الفترة من الزمن. و يمكن القول أن الجنون قد اتخذ مركزا هاما في مرحلة النهضة وهاته المرحلة الصعبة و التي شهدت العديد من المظاهر التي أثقلت حملا على البشرية و هي الخوف من الموت الذي يسيطر على التفكير الإنساني ، فقد ربط الجنون بالموت لأنهما

[1] جيجيكة إبراهيمي، حفريات الإكراه في فلسفة ميشيل فوكو ، المرجع السابق، ص 26.

طريق واحد فالموت و الجنون يجعلان من الفرد يعي أنه عاجز على الحكم و السيطرة فكان استسلام إنسان عصر النهضة للموت راجع لذلك الجمود الفكري و غياب دور العقل في تلك الفترة.

في حين أن عصر النهضة صنف الجنون على أنه مصدر الحكمة، فنجد في هذا الشأن إيرازم، فكان له دور كبير في شأن أفكاره حول الجنون، فاعتبره نوع من أنواع الحكمة فاتسم الجنون بأنه ذو طابع إنساني حتما، لأنه يختص بالذات الإنسانية بحسب رأيه فهو يمنحه صفة الحكمة،و لا يمكن أن يكون خارج عن حدود الإنسانية فهو طابع و خاص مرتبط بها[1].

فالحكيم و المجنون نفس الشئ فكان ينظر له (المجنون) على أنه مصدر الحكمة ((خذوا الحكمة من أفواه المجانين)) فكان لكل واحد منه له صفة تشبه الآخر، ففي العفوية نجد ذلك التطابق، فالمجنون لا يمكن اعتباره أن يكون مهمشا من طرف الذات الإنسانية و من ثم فهو يتميز بمميزات ترفع من شأنه بأن يكون وجه المطابقة مع بعض مهارات العقل و إن لم يكن جزء من العقل في ذاته، و رأي الرسم بأن الجنون مصدر الحكمة أي أنمها متطابقان لا بل هو يرى بأن الجنون له الأفضلية على الحكيم بحكم هذا الأخير، ذكائه الذي يميزه يجعله في

[1] جيجيكة إبراهيمي، حفريات الإكراه في فلسفة ميشيل فوكو، المرجع السابق، ص 27.

غير عفويته مقارنة بالمجنون فهو يظهر كل ما لديه من مكبوتات و شهوات أي أن عضوي.[1]

إضافة إلى هذا فنجد أن راسم جعل من الجنون على أنه مكسب للسعادة و لتحقيقها يجب علينا أن ندخل هذا العالم أي عالم الجنون ، لأننا به نكون في سعادة أبدية أي أن الجنون طريقنا إلى السعادة و هذا ما جعل من الفيلسوف اراسم أن الجنون هو أساس كل شئ فهو يرى في المجنون أن يعيش بحرية ، الحرية التي سلبت منه في القرون الوسطى، و لا يمكننا الإفصاح بأن المجنون مختل عقلي بحكم أن اراسم ذو نزعة إنسانية.

و من هذه النظر ة إلى الجنون من طرف اراسم نجد أن فوكو رأى في هذا الفيلسوف نقاد للجنون و أخرجه من تلك القوقعة التي كان فيها و اعتبار أنه لابد للمجنون أن يسجل وعاء به مريض عقلي، فاراسم جاء منتقدا لهذه المظاهر و رأى بأن الجنون أصل الحياة و فيه بمكن للإنسان أن يعيش بكل عفوية و بكل واقعية و سعادة و هذا في مقولته الشهيرة « لن **تجدوا اللذة التي تنشدونها و لا السعادة إن لم تدخلوا عالم الجنون**»

و هذا ما جاء في مضمون مرحلة عصر النهضة حول الجنون، إلا أن هذه النظرة ستتغير مع حلول العصر الكلاسيكي.

فما هو واقع خطاب الجنون الذي عرفه العصر الكلاسيكي ؟

[1] المرجع نفسه، ص28.

المبحث الثالث: الجنون في العصر الكلاسيكي

يمكن القول أن العصر الكلاسيكي يمثل مرحلة من تاريخ الجنون ارتبط فيها الجنون باللاعقل من جهة وبالحيوانية من جهة أخرى، فكيف ذلك؟

أولا: في ارتباط الجنون باللاعقل :

حيث يظهر في العصر الكلاسيكي تصدع بنيات الوعي بالنسبة للمجنون و بعجز قدراته العقلية المميزة له كإنسان ليظهر بذلك اعتقاد مفاده نهاية الكائن العاقل، أي نهاية العقل كفصل نوعي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات وهذا الفصل النوعي هو الذي من خلاله حدد الإنسان ككائن عاقل عبر تاريخ الفلسفة ، وتتجسد نهاية الكائن العاقل عن طريق فك الرابطة بين الإنسان والواقع ، ومن هنا تبدأ عدم الثقة بالجنون وكل ما يصدر عنه ،،سواء علما أو سياسة أو أخلاق ، فيستحيل أن يكون الجنون مصدرا للحقيقة وهذا هو السبب الذي أدى بمرحلة العصر الكلاسيكي الى تعظيم العقل وإسكات الجنون « **ولقد أعاد عصر النهضة الى الجنون صوته ، ولكنه تحكم في مصادر عنفه وسيأتي العصر الكلاسيكي يسكته بقوة غريبة** » .[1]

والحق يمكن القول بالتلازم في الحضور بين تجربة مرحلة العصر الكلاسيكي في تاريخ الجنون والتأملات الديكارتية ، ويظهر ذلك بالتحديد في تأليف ديكارت كتاب التأملات الميتافيزيقية وهي المرحلة التي يبدأ فيها ديكارت الشك المنهجي قاصدا من ورائه بلوغ الحقيقة، فقد أدى هذا العمل الى إقصاء الجنون ، فالعقل الكلاسيكي رفض الارتباط بالجنون وهذا ما كان إيذان ببداية عصر جديد و تجربة جديدة تستند على فكرة عزل المجانين.[2]

[1] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، المصدر السابق، ص67.
[2] المصدر نفسه ، ص 69.

إذن من خلال كتاب ديكارت السالف الذكر يمكن القول أن العصر الكلاسيكي وضع قطيعة إبستمولوجية مع عصر النهضة والتي بدأت حسب فوكو مع ديكارت أين يبدأ ابستيمي العصر الكلاسيكي. فكيف يمكن اعتبار الموقف الديكارتي هوابستيمي العصر الكلاسيكي؟

- ان نقطة الانطلاق الأولى عند ديكارت هي الشك، ، حيث استهل بحثه عن الحقيقة بالشك في كل شيء في وجود الذات ، في وجود العالم وفي وجود الله وانتهى هذا الى إثبات وجود الأنا أفكر أي الذات الواعية ، التي تعي بذاتها في عزلة انطولوجية ، لا تحتاج فيها الى الأخر أو الغير، فبالعقل والوعي تكتشف الذات حقيقة ذاتها وعلى هذا النحو سيأتي ديكارت للمعرفة انطلاقا من العقل نافيا كل ما يتعارض مع العقل ، خاصة كل ما يرتبط بما هو حسي قائلا في مقابل ذلك بالأفكار الفطرية والأحكام القبلية و المبادئ العقلية التي لا تحتاج الى أي تجربة، مجمل القول أن ديكارت جعل من العقل صنم الفلاسفة الأكبر وهو الحكم الذي لا يمكن رد حكمه ولا معقب لقضائه ، هذا التعظيم للعقل أدى بديكارت الى اعتبار الجنون حالة متناقضة للعقل أي الجنون يمثل اللاعقل ، من هنا أصبح يقترن الجنون باللاعقل وهو ما برهن عليه ديكارت بمنهجية فلسفية في تأمله الميتافيزيقي الأول حسب ما أشار إليه ميشيل **فوكو**« **كيف يمكنني أن أنكر أن هذه الأيدي ، وهذا الجسد ملكا لي ، إذ لم يكن ذلك ناتجا عن مقارنتي لنفسي مع بعض الحمقى ، هؤلاء الذين يشكون من خلال**

في دماغ أفسدته الأبخرة السوداء....هؤلاء الذين يؤكدون أنهم ملوك وه م فقراء ،ويؤكدون أن على أجسامهم كسوة وهم عراة[1] »

- فكيف قرأ فوكو هذا النص الديكارتي؟

إذا الدارس لفوكو يكتشف قراءة متميزة للنص الديكارتي خاصة عندما يتعلق الامر بتاريخ الجنون، كن هذه القراءة تعيد الاعتبار لما أهمله ديكارت وهو الحواس. فالحواس تعطينا معرفة نسبية ومتغيرة وغير موثوق بها، إلا أنا هذا لا يدفعنا الى القول بعدم وجود حقيقة ناتجة بما هو حسي، حسب ما يذهب إليه فوكو إذ يعتقد ان الحواس تجعلنا نلج عالم الأشياء الموضوعية في حين انه في حالة الغياب المؤقت للوعي أثناء النوم أي في حالة الحلم، فإن هذا الأخير يتضمن رموز وعلامات بعض الحقائق، و هذا ما كشفت عنه مدرسة التحليل النفسي في دلالات الحلم اللاشعوري.

وعلى هذا النحو إذا تعلق الامر بالجنون نلاحظ نوعا ما اختلاف جزئي " لا يمكن ان يكون في ذهن المجنون أيضا مزيفا، بل لأنني انأ الذي يفكر لا يمكنني انأ أكون مجنونا، فعندما أعتقد أنني أمتلك جسدا فهل معنى ذلك أنني متأكد من امتلاكي لحقيقة أقوى من ذلك الذي يعتقد ان له جسدا من زجاج ؟ **بالتأكيد هذا صحيح ذلك أنهم مجانين وسأكون أخرق مثلهم إذا انأ سلكت مسلكهم**"[2].

[1] ميشيل فوكو، المصدر السابق، ص67.
[2] ميشيل فوكو،المصدر السابق ص 68

فاالإرتباط الذي وضعة ديكارت بين لحقيقة والوهم كان هو الشاغل الأساسي لفوكو في قراءته لديكارت، حيث تتجلى هذه القراءة من خلال دراسة الجنون في العلاقة بين الذات والحقيقة وفك الإرتباط بينهما، فالأمر يتعلق بإقصاء الخطأ والحواس وكذا الوهم ،و الجنون من العملية الاستمولوجية (المعرفية)

وعليه سيتم قطع الصلة بين العقل والجنون خاصة في الفعل المعرفي الصادر عن العقل كون مجال المعرفة من ميزة العقل، وما نتج عن ذلك حسب فوكو إقصاء الجنون بإسم الذات الواعية التي تشك في كل شيء، التي يستحيل ان تكون في حالة جنون إلا إذا انقطعت عن التفكير وتحولت من الوجود الى العدم.[1]

واستلزم ذلك نفي كل آليات التفكير من شك وبحث عن الحقيقة عن المجنون ، بعبارة أخرى انأ المجنون هو الذي يفتقد كل آليات التفكير، وبناء على هذا التصور الديكارتي ثم استبعاد الجنون من الخطاب الفلسفي وحدثت القطعية التامة بين الجنون والعقل.

ثانيا في إرتباط الجنون بالحيوانية صنف المجنون في العصر الكلاسيكي انه حيوان وهذا ما أكدته الصورة المأخوذة من العصر الكلاسيكي ذاته، إذ في هذا الإطار أشار فوكو إلى أن الجنون يختفي خلف قناع الحيوان فالذين نشاهدهم مكبلين ومحتجزين ليسوا بشر، وإنما هم حيوانات سقطت كضحية لداء الكلب الطبيعي

[1] المصدر نفسه، ص69.

وهنا يظهر ان العصر الكلاسيكي لم يعمل على إقصاء الجنون فكريا بل عمل على إقصاءه واقعيا أيضا أي الإقصاء الفكري والواقعي معا، ويظهر الإقصاء الواقعي بالتحديد في إهانة المجانين ومعاملتهم بطريقة إنسانية « رأيتهم عرايا أو يضعون على أجسادهم أسمالا ويفترشون التين لإخفاء رطوبة الأرض التي ينامون عليها [...] **رأيتهم يسكنون في فضاءات ضيقة وسخة عفنة بدون هواء ولا نور،في كهوف لا تليق بالوحوش الضارية التي تنفق عليها الحكومات بسخاء في عواصمها** »[1].

وقد استشهد ميشيل فوكو بشهادة أحد الموظفين وهو يصف أماكن الحجز التي تماثل الى حد بعيد أقفاص الحيوانات المتوحشة، غذ عبر من خلالها عن الميزات التي تميز اضطهاد المجنون أثاء عزله، ومن بين هذه الميزات يذكر أشياء غريبة يتأقلم من خلالها المجنون مع الطبيعة بقدرة غير موجودة عند إنسان عادي مثل الجوع والبرد.....الخ.

وفي هذا الصدد يشير فوك و الى مستوى أخلاقي يتمثل في التحالف الضمني الذي عرفه العصر الكلاسيكي بين السلطة الأخلاقية والطبية، وتم هذا بعد تأسيس وإنشاء أماكن خاصة للاستشفاء (عيادات طبية) التي تم فيها وضع المصابون بمختلف الأمراض، أين تم استعمال مختلف طرق الإكراه التي تهدف الى تحسين وضعية الجسد وجعله أكثر خضوعا للسلطة

[1] ميثيل فوكو تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، المصدر السابق، ص 70

على اعتبار ان الجسد « **هو الذي يجبرنا الى الخطيئة، وقد لا نكتفي بمعاقبته بل يجب إخضاعه لعذاب مرير، ذلك ان الصحة تحول بسهولة جسدنا إلى أداة للخطيئة** »[1].

وفي هذا السياق يعتقد فوك و ان الخلط بين العقاب والعلاج جاء بسبب إ بستيمي العصر الكلاسيكي المؤسس على العقلانية والعقل التي لم تتمكن من فك الارتباط بين منهجين متناقضين (العقاب والعلاج)، وعلى هذا النحو تمت ممارسة كل مظاهر الإكراه والعقاب الموجهة نحو المجنون استنادا لمبررات اجتماعية أخلاقية علاجية، وقد كانت هذه الممارسة بمثابة أرضية تأسيسية لفكرة الاستلاب وكذا الاغتراب « **إنها كلمة تطمح الى تعيين ذلك التيار الذي كف من خلاله اللاعقل عن ان يكون تجربة داخل مغامرة العقل الإنساني، ومن خلاله تم تحاشيه و أدرج ضمن قالب موضوعي**»[2].

وعليه يمكن القول ان العصر الكلاسيكي اعتبر الجنون تجسيد ا للاعقل ورّدة نحو الحيوانية وهذا هو السبب الذي سيدفع بسلطة العصر الكلاسيكي الى منع المجانين من ممارسة جنونهم في كل حرية، والأكثر من ذلك شيدت السلطات أماكن للعزل ويصبح بمقتضاها المجنون شبيها بالمذنب الذي تمرد على القانون الاجتماعي، والوضع في السجون قصد حماية المجتمع من خطر الجنون.

[1] المصدر نفسه ، ص.110.
[2] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ، المصدر السابق ، ص 127

المبحث الأول : اعتقال المجانين

نظر العصر الكلاسيكي إلى الجنون بوصفه تعبيرا عن اللاعقل و في أقترانه باللاعقل يصبح مرادف للحيوانية هذا ما سيؤدي إلى عزل المجانين و منعهم من ممارسة جنونهم بكل حرية إذ تم تهيئة أماكن خاصة للعزل ليعدو بذلك سلوك المجنون مرادفا لسلوك المذنب

فكيف تم هذا العزل ؟

أ -الاعتقال الكبير :

تؤول البدايات الأولى إلى تأسيس المستشفى العام في باريس سنة 1656 و هو ما لم يعتبره فوكو بمثابة الخطوة الأولى التي بدأت بها السلطات العمل الفعلي للعزل و ذلك بغية تشديد الرقابة عليه، من هنا يكون العصر الكلاسيكي قد باشر عملية إقصاء و تهميش المجنون ونفيه بعيدا عن المجتمع.[1]

على هذا النحو حاولت السلطة تقييد المجنون و ردعه، و لم يقتصر الأمر إنشاء المستشفى العام بباريس، بل امتدت هذه العملة الممهجة إلى كل المدن الفرنسية، حيث استطاع فوكو أن يتحصل على ما يثبت ذلك في الأرشيف ، حيث يوضح

[1] ميشيل فوكو،تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ، المصدر السابق، ص 70

« المرسوم الملكي في 16 جوان 1676 يحث على بناء المستشفى عام في كل مدينة من مدن المملكة».[1]

و ما يجدر الإشارة إليه في هذا السياق أن فكرة بناء المستشفيات لم تقتصر فقط على المدن الفرنسية بل توسعت لتشمل الكثير من المدن الأوروبية و هذا ما أشار إليه فوكو عندما ذكر بعض المدن الأوروبية مثل : بال Bale التي بني فيها مستشفى 1667 و فرانكفورت سنة 1684 ..... الخ.

و الحق أن بناء المستشفيات لم يكن يهدف إلى العناية بالمجانين و علاجهم و إنما كان الهدف منه على أكثر تقدير هو الزج بالعديد من الفئات الاجتماعية داخل هذه المستشفيات ،بمعنى أنها كانت بمثابة أمكنة تخلص المجتمع من الفئات المزعجة في نظر العصر الكلاسيكي ، إذ شهدت هذه المستشفيات بعد فتحها حجر و اعتقال حوالي 6000 شخص من مختلف الفئات المتسولين ، البطالين، مع المصابين بالجنون.[2]

فتغيرت بذلك الغاية من بناء المستشفيات حيث تحولت من مؤسسات علاجية إلى مؤسسات عقابية يعتقل بها كل من يشكل خطر على المجتمع و خاصة البرجوازية منهم ، و هذا ما وصفه فوكو في نظره بطبعة الاعتقال فلم يكن هناك دافعا أو سببا لتحسين الممارسة الطبية ، و إنما كان هناك دافعا اقتصاديا يحرك عملية الاعتقال

[1] المصدر نفسه، ص72.
[2] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، المصدر السابق، ص77.

« لقد كان الحجز، قبل أن يتخذ المعنى الطبي الذي يعطى له لأن أو على الأقل ذاك الذي نفترضه بالاستجابة لشيء آخر غير الرغبة في المعالجة ، إن الامر الذي استوجبه هو ضرورة العمل ».[1] فتتحول المستشفيات في هذا المعنى من وظيفة علاجية إلى وظيفة امتصاص البطالة ، ونلاحظ أن فوكو في تفسيره لهذه الو ضعية قد ربط ظاهرة الجنون بالحياة الاقتصادية، حيث استثمرت السلطة الاقتصادية أهدافها في طبقة المتسولين والعاطلين عن العمل، و هذا يظهر بوادر تأثير الفكر الماركسي في هذا التفسير الفوكوي حول الدور الخفي للمستشفيات الذي يختلف عن الدور المعلن عنه **« فمن الصعوبة أن لا تكون ماركسيا في تفكيرك خلال فترة الستينيات** [2] **»**

من هنا نفهم كيف تبين فوكو مظاهر الإكراه و القمع التي تمارس على المحتجزين عندما تحول مهمة المستشفى من مهمة علاجية إلى مهمة اعتقالية.

و قد أشار فوكو إلى ذلك من خلال تحديد هوية المسيرين للمستشفى العام ، حيث، وضع تحت تصرف رجال الشرطة الذين يمارسون سلطتهم داخل المستشفى و خارجه، فضلا عن تدخل رجال الدين و الطبقة البرجوازية في تسيير شؤون المستشفى، و كانت الغاية من وراء ذلك هي الانتقام من الفقراء.

[1] المصدر نفسه، ص86.
[2] جيجيكة إبراهيمي، حفريات الإكراه في فلسفة ميشيل فوكو، المرجع السابق، ص36.

و هذا يقودنا إلى فكرة بالغة الأهمية و هي أن الجنون لم يكن ظاهرة معزولة عن الظروف الاقتصادية و الاجتماعية، حيث المعيار الأساسي في تحديد حالة الجنون يرتبط بشكل مباشر بالفقر و هذا يعني إقصاء الفقراء من طرف البرجوازية لإبعادهم عن المجالات السياسية و التسيير الإداري.

ب-الاعتقال الثاني :

في المرحلة الثانية من الاعتقال عن حجز المجانين و عزلهم عن الفئات الاجتماعية الأخرى بوصفهم منعزلين، على أساس إصابتهم بالجنون و هذا ما يستوجب العناية و العلاج من خلال العزل عن المؤثرات الخارجية و قد عرفت عملية الاعتقال الثاني عدة مراحل مرتبطة بظروف و أسباب جعلته يختلف عن الاعتقال الكبير الأول ، في عدة جوانب نذكر منها : الفصل بين الفئات غير المصابة بالجنون عن المصابين الحقيقيين و هذا ما وضحه فوكو. و قد تبلورت أثناء هذه المرحلة الكثير من المجهودات التي تهدف إلى لفت النظر إلى المعاملة غير الإنسانية التي يحظى بها المجنون ، و بدأت تخرج إلى العلن مواقف تندد بالكيفيات اللاإنسانية التي يعامل بها المجانين « **إذ قام ألن توك Tuke- الذين أصبحوا المؤرخين المدافعين عن العمل المنسوب إليهم – بتحرير المجانين و في ألمانيا نجد ريلRiel و أسماء كثيرة الذين تحسروا على حال هؤلاء المجانين**[1]»

[1] جيجيكة إبراهيمي، حفريات الإكراه في فلسفة ميشيل فوكو، المرجع السابق، ص38.

على هذا النحو أشار فوكو إلى العديد من الأطباء الذين كان لهم الفضل في عملية عزل المجانين عن الأشخاص الأسوياء ، حيث كانوا المجانين في معاملة غير لائقة بالسلوك الإنساني، فعرفوا معاملة جد قاسية، حيث أنهم كانوا محرومين من كل متطلبات الحياة، و لا يجدون حتى قطرة ماء تروي عطشهم و لا غذاء يسد جوعهم، فرمي بهم في زنازين وكهوف لا يطاق العيش فيهل فلعل الحيوان كان أحسن معيشة منهم فالمستشفى العام كان في غير مهمته الطبية « **إنه الأداة الأخرى للقمع** [1] » و على هذا فإن المستشفى العام كان وجها لمظاهر الإكراه و التهميش، تحت سيطرة برجوازية، و من هنا بين فوكو ومن خلال أركيولوجيته العديد من المحاولات التي عملت على فصل المجانين، فكشف على فكرة محورية مفادها أن الفصل بين المجانين و الفئات الاجتماعية الأخرى تمثل النواة الأولى لعملية تحرير المجانين.

[1] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، المصدر السابق، ص72.

المبحث الثاني : تحرير المجانين

في قراءة فوكو لتاريخ الجنون و خاصة العصر الكلاسيكي أشار بوضوح إلى مختلف وضعيات الاعتقال التي مورست ضد المجانين ، التي تؤكد المعاملة اللاإنسانية التي كان يعامل بها المجنون و في السياق التاريخي بدأت تثبيت مواقف إنسانية من الاطباء تنادي بضرورة الفصل بين المجانين و الفئات الأخرى و هو ما أدى حسب فوكو إلى عملية تحرير المجانين ، و قد قسم هذه العملية إلى مرحلتين :

أ -ما قبل الثورة الفرنسية.

ب-ما بعد الثورة الفرنسية

أ -ما قبل الثورة الفرنسية :

في هذه الفترة سجل فوكو اختفاء فكرة الحجز، و كشف على أن عملية الحجز عملية ضرورية بالرغم أنها لم تؤدى إلى الاستئصال الكلي لعملية الإساءة للمجانين و هذا حسب فوكو« **لقد اختفت بداهة الحجز في القرن 18، كما اختفت الوحدة الشاملة التي كان**

ينظر إليه من خلالها دون عناء ....و ظلت الصرامة اللاإنسانية في معاملة المجانين حية [1]»

تتميز هذه المرحلة بارتباط عملية التحرير بالظروف الاقتصادية حسب فوكو بالحاجة إلى اليد العاملة ، و هو ما جعل المتخصصين في الاقتصاد ينادون بضرورة تحرير المحتجزين داخل المستشفيات كون عملية العزل تتكلف تكاليف باهظة من منطلق أنهم يعيشون في وضع لا يرد بالفائدة للدولة و المجتمع، و لذلك يجب تحريرهم و استغلالهم في تنشيط الحياة الاقتصادية.

حيث أشار فوكو إلى بروتاي Breteuil (تاريخ الميلاد و الوفاة) الذي « **طلب في دوريته حول الأوامر الملكية من المقتصدين أن يحددوا له طبيعة الأمر بالحبس في كل دور الحجز ... يجب إطلاق سراح الذين لم يفعلوا أي شئ يبرر قسوة الأحكام الصادرة في حقهم كارتمائهم في أحضان حياة الانحلال و الانحراف و التبذير [2]»**

و من هنا نفهم أن أسباب تحير المجانين ما قبل الثورة لم تكن أسباب إنسانية و إنما أسباب اقتصادية معنى هذا أن الاهتمام بالمجنون في تلك الفترة ارتبط بالظروف الاقتصادية فقط ،فظهور الاعتقال الكبير سببه حسب فوكو انتشار البطالة و التسول، و عند ظهور حركة التصنيع ظهرت الحاجة إلى إيجاد اليد العاملة الرفيعة و هذا ما أدى إلى تحرير كل من اعتقل

[1] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، المصدر السابق، ص431.
[2] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، المصدر السابق، ص432.

ب-ما بعد الثورة الفرنسية :

تبدأ هذه المرحلة حسب فوكو من اللحظة التي اندلعت فيها الثورة الفرنسية على أسس ومبادئ تنادي بحقوق الإنسان حيث يقول إن المرحلة الثانية « **فهي مرحلة التحريات الكبرى التي أمرت بها الجمعية الوطنية و المجلس التأسيسي مباشرة بعد الإعلان عن حقوق الإنسان لا يمكن القبض على أحد أو حبسه إلا في الحالات التي يحددها القانون ووفق الأشكال المعمول بها**[1] »

فالإعلان عن حقوق الإنسان بدأ يتشكل في الواقع و حظي بتطبيقات ملموسة 1789 و بناء على هذا التطبيق الخاص بحقوق الإنسان تحولت معاملة كل الأشخاص المعتقلين في أي مكان إلى معاملة إنسانية.

في حين أن الذين احتجزوا بناءا على إصابتهم بالجنون ، فإذا كان الشفاء غير ممكن فلا بد من معاملتهم بوسائل إنسانية « **هي اللطف و المعاملة الحسنة التي يمكن أن تمنح هؤلاء البؤس حياة محتملة**[2] »

تبقى الإشارة إلى أن هذا تطبيق إعلان الخاص بحقوق الإنسان بشكل جدي و صارم ظهر بين 12 و 16 مارس 1790 و نتج عنه « **في ظرف 6 أسابيع و ابتداءا من هذا الظهير ، سيطلق سراح كل الأشخاص المعتقلين في القصور و الدور الدينية و السجون و مخافر الشرطة أو باق المعتقلات تطبيقا لأمر ملكي و بأمر من السلطة التنفيذية**» [3]

[1] المصدر نفسه ، ص432
[2] المصدر نفسه، ص433.
[3] ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، المصدر السابق، ص433

و على هذا تم إطلاق سراح كل المساجين إلا أن هذه الجمعية ستستثني المجانين المحبوبين على أن تقوم الجمعية بإعادة النظر في قضيتهم إما إطلاقهم نهائيا أو الاعتناء بهم في أماكن خاصة بالجنون و ما يمكن استنتاجه من هذه الفكرة أن المستشفى العام الذي ينظر له على أنه مؤسسة علاجية ، ليس له علاقة بالعلاج و إنما هو مؤسسة اعتقالية ، و قد نتج عن ذلك حسب فوكو بين قانون 22 جويلية 1791 الذي شدد على مسؤولية العائلات في مراقبة المعتوهين، كما يسمح للسلطة بأخذ التدابير اللازمة في هذا الشأن كي لا يتسببوا بأية فوضى و لا يرتكبون أي جريمة ، كون المشكل الذي كان مطروحا هو أن مستشفيات المجانين لم تكن موجودة بعد و هذا ما جعل المجانين في حريّة و عودتهم إلى وضعيتهم الأولى[1] .

نفهم من موقف فوكو السالف الذكر أن الثورة الفرنسية سعت إلى قطع الصلة المباشرة مع العصر الكلاسيكي و تجاوز تراكماته التاريخية المسيئة للجنون.

[1] المصدر نفسه، الصفحة نفسها

بعد هذه الدراسة المتواضعة يمكن أن نلمس عددا من الاستنتاجات فيما يخص إشكالية الجنون عند فوكو.

أولا : مدى أهمية المنهج الأركيولوجي لميشيل فوكو الذي من خلاله الكشف عن لغة خطاب الجنون.

ثانيا : التأثر الشديد لفوكو بالفيلسوف نيتشه و بطريقة نقده فمن خلال هذا التأثر بلور مصطلح الأركيولوجيا .

ثالثا : محاولة فوكو في الكشف عن نيّة الحضارة الغربية من خلال استغلالها للغموض الذي عرفته ظاهرة الجنون .

رابعا : مدى إمكانية المنهج الحفري لفوكو للبحث الموضوعي عن الدلالات التي اقترنت بالجنون عبر العصور.

خامسا : الكشف عن مظاهر الإكراه و القمع التي تعاملت بها الحضارة الغربية إزاء الخبل.

سادسا : إعطاء المجنون مكانة بين أفراد المجتمع و أن يعامل معاملة الإنسان الطبيعي.

سابعا : محاولة فوكو في معرفته على العلاقة التي كانت بين الجنون و السلطة.

ثامنا : إعطاء الجنون بعدا أخلاقيا.

تاسعا : إدراك فوكو بأن الجنون من القضايا التي تطرح نفسها بشدة على الفكر الغربي.

عاشرا: أن فوكو هو ما بين الفلاسفة الذين شغلتهم ظاهرة الجنون باعتبار أن هذه الاخيرة كانت في حالة غموض.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
البسملة	
الإهداء	
الشكر	
مقدمة	أ – د
الفصل الأول: آليات فوكو في قراءته لتاريخ الجنون	
المبحث الأول : المنهج الأركيولوجي	05
– في مفهوم الأركيولوجيا	
المبحث الثاني : بين الجينيالوجيا و الأركيولوجيا	08
المبحث الثالث : التصور الأركيولوجي لمفهوم الجنون	12
الفصل الثاني: مضمون مراحل تاريخ الجنون عند فوكو	
المبحث الأول : الجنون في العصر الوسيط	17
المبحث الثاني : الجنون خلال عصر النهضة	21
المبحث الثالث : الجنون في العصر الكلاسيكي	27
الفصل الثالث : الجنون بين الاعتقال و التحرير	
المبحث الأول : اعتقال المجانين	33
أ - الاعتقال الكبير	33
ب-الاعتقال الثاني	35
المبحث الثاني : تحرير المجانين	37
الخاتمة	41
قائمة المصادر و المراجع	/
الفهرس	/

قائمة المصادر و المراجع

أولا : المصادر :

1 - ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006.
2 ميشيل فوكو، جينيالوجيا المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ،ط3، 2005.
3 ميشيل فوكو، حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2005.
4 ميشيل فوكو، هم الحقيقة، تر: مصطفى المنشاوي، سلسلة بيت الحكمة، منشورات الاختلاف ،ط1، 2006.
5 ميشيل فوكو، يجب الدفاع عن المجتمع ، دروس ألقيت في الكوليج دي فرانس لسنة 1986 ،تر: الزواوي بغورة، دار الطليعة ، بيروت، ط1 ، 2003.

ثانيا : المراجـع :

6 جيجيبكة إبراهيمي ، حفريات الإكراه في فلسفة ميشال فوكو، منشورات الإختلاف، ط1 ، 2011.
7 الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، 2000.
8 السيد ولد آباه، التاريخ و الحقيقة لدى ميشال فوكو، دار المنتخب العربي ، بيروت، ط1، 1994.
9 عمر مهيبل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، بيروت، منشورات الاختلاف ،الجزائر، ط1، 2005.
10 عمر مهيبل، من النسق إلى الذات، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1، 2007.

ثالثا : المجلات :

11- هاشم صالح، ميشيل فوكو، فيلسوف القاعة الثامنة، مجلة الكرمل، العدد 13، 1984م .

رابعا : المذكرات

12- طالبي عبد الحق، المنهج الأركيولوجي في فلسفة ميشيل فوكو، جامعة منتوري، قسنطينة ، 2011/2010.

خامسا : الموسوعات و المعاجم :

-Louis-marie morfaux, nouveau vocabulaire de la philosophie et des sciences humaines, Armond colin , paris, 1980, 1999.p 40.

ملخص الدراسة :

لقد كان بحثنا في هذه الرسالة حول إشكالية الجنون عند فوكو و قد أمكن لنا تلخيصه في ما يلي :

حيث توصلنا إلى أن فوكو و من خلال منهجه الذي أسسه تحت اسم الأركيولوجيا، عمل جاهدا في الحفر عن مظاهر الإكراه التي اقترنت بظاهرة الجنون، و محاولته لفك لغة الخطاب المتعلقة بالجنون طيلة المراحل الثلاث التي أرخها للجنون و استنطاق ما كان مسكوت عليه، كما نجده أيضا عمل على الحفر في البنى التحتية للحضارة الغربية و الكشف عن ممارستها الخطير إزاء المجنون .

Summary :

Our research in this dissertation was about Faucault's problematic of madness ،and we mamaged to summarise it in the following we found that Faucault's and through his founding approach mamed Archyoulogia work hard in investigating the manifestations of coercion associated to the phenomenon of madness ،and trying to decipher.the language of speech that is related to madness through all the three stages and interrogation something instead of keeping silent about it likewise ،we found him also worked on searching under the western Civilization infrastructure and deted its dangerous practices towards the madman.